(٧)

الصلاة الصلة على النبي
كتاب الرائد والولي
وقيام الكلمة من الإنسان القدسي لمن لم يلد ولم يولد الأزلي

حديث الجمعة

١٢ ربيع الآخر ١٣٨١ هـ - ٢٢ سبتمبر ١٩٦١ م

صلى وملأه قديما وما زال وملأه يصلي وسيبقى وملأه يصلي.. على من يعرِّف عنه ويحمل نبأه ويؤتمن على خبره.. إلى نفسه وعينه من تجليه بصنعه.. فمن هو الذي صلى؟ وعلى من صلى؟ ومن هو الذي حمل نبأه؟ والى من حمل نبأه؟

أسس في الناس دينا، جعل من العقل والمنطق أساسه وأصله، وجعل من الصدق والصفاء مورده وكتابه وحوضه، وجعل من السعي والعمل جزاءه ورزقه.

إن قديم من صُلّيَ عليه هو الذي صَلَّي على من صُلّي عليه، فصلى القديم على جديده، وصلى المشهود على شهيده، وصلى الوالد على وليده، وصلى الموجد على موجوده، وأمره بالصلاة على معناه من جديد مبناه، فصلى لنفسه في صلاته على من صلى عليه عينا لمعناه.. فقامت الصلاة من جديد معناه على قديم معناه، فملئت بالحياة الفلاة، وتحقق الفلاح بقيام الصلاح، فتواجد الفرد أمة، واجتمعت الأمة فردا.. فعرف الموجود بلا شريك في معرفة الموجد عند من أوجد.. موجودا بما أوجد، ظاهرا بما منه تواجد.. من أحده وراء الكل محيط في جديده تعددت وجوهه في قيام وحدانيته، وقامت وحدانيته في شهود وجوهه لمعناها في مرآتها من وحدانية معناها بمعناه، من ورائها محيط وعلى كل منها قائم، وأينما ولت فوجهه.. فعرف الرب بعبده، وقام العبد بربه.

نزعت سخائم الخليقة من أرض الحقيقة، وتدفقت مياه الحياة من ميازيب الرحمة، من سموات الإنسان على أرض الإنسان، فقام الإحسان وذهب البهتان وتواجد الرحمن في مظهره من الإنسان عبادا له تعنو لها الوجوه معرفة للحي القيوم، ولقاءً لوجه الجلال الذي يبقى ويدوم.

بهذا جاء عبد من عباد الله على سنن من قديم فيه في قديم من أمره بما ليس بدعا من وجود. طلع على الناس من أنفسهم بما تهيأت له أنفسهم ليهيئهم لما استعدت له نفسه في أمر الجزاء والعطاء من قديمه، مستقبلا لهم في متابعتهم لقدوة حاضره إلى أحسن تقويم للإنسان بالحق وملئه، فزعموهم له أمته وما رأوا منه إلا جلدته. ما دخلوا فيه إلى حرم من قلب، أو إلى بيت لرب من قالب. ما عنت له الوجوه ساجدة عند قدميه، وجه الحق وطلعته، ومقاربة الغيب ومداناته. ما شهدته النفوس بابا للحياة، ومدينة للسعادة، وما آمنته العقول نفسا طيعة للأسوة، وطريقا مقاما للاستقامة والقدوة. ولكنهم بمقاييس أنفسهم بقسوتها قاسوه، وعابدين لأوهام تواجدهم عبَّدوه. أفردوه بعيدا عن معانيهم - وهو الفريد - ولكنه الفريد في معانيهم فيه يحيون، وبه يتواجدون، وبمعناه يقومون فيسعدون ويعملون، فيتعالون ويتدانون، ما بين جسم وروح يتواجدونه، وما بين غفلة ويقظة يتحولون له أو عنه، وهم به لا الغفلة تميتهم ولا اليقظة تطغيهم، ولكنهم مع أنفسهم وبأنفسهم لأنفسهم على ظلامها صوروه، والشياطين أنفسهم لأنفسهم زعموه، وتظاهروه. ما زادوا بأنفسهم منه إلا بعدا، وما زادوا به لأنفسهم لهم إلا فقدا، يقولون ويقولون وينقلون وينقلون، وبوهم كفاية النقل بعيدا عن الكسب والعقل والغريزة والوهب يقومون.. ويظنون أنهم بذلك في الحياة يتواجدون.. وما الحياة إلا نبع الحياة من مصدر الحياة فيه، تحيي به الأرض الميتة لنفوس متابعيه، ينزل عليها ماء الحياة من سموات معانيه، فتهتز من خشية الله وترى سكرة الموت لفناء مبناها، وترى نشوة الحياة بنشأة معناها، من أسفل تبدأ لا من عَلِيّ تنحط.. فالعَلِيّ في علاه لا ينحط عن معناه وإن انحط بنوره عن عالمه إلى عوالم دعوته من مبناه.

إن الحق الذي قام في الناس بمحمد ما انحط في قيامه وجوهره بقيامه بين الناس، وما فارق علوه إذ يقوم بين الناس.. فهكذا يكون التواضع لا وضيعة فيه. إن النفس العالية تتواضع لأنها ليست نفسا وضيعة. وإن النفس الوضيعة تتعالى لأنها ليست نفسا عالية. إن الله لا يعامل بالكبرياء إلا المتكبرين، ولا يعامل بكشف الضعة إلا الوضعاء، فيجعلهم محلا للشياطين تؤزهم أزا، من سيادتهم مرسلين.

ماذا عرف الناس مما حمل لهم رسولهم من أنفسهم؟ فليس لله رسول إذ ليست له غيرية. إن الذي يظهر في مثقال حبة من خردل كيف يكون له رسول ولمن يرسل؟ إنما الرسول هو من أصول الناس إلى أبنائهم من الناس، في أخوة من الناس من آباء من الناس مرسلة، قياما بأبوة أو أمومة أو أخوة في الناس على مثال من سبق مما عرفوا من أبوة أو أمومة أو أخوة في وجود الناس في تواجدهم بخلق حميدة عندهم من الناس أهدافا إلى غاية، هي أن يعمل الناس لأنفسهم، ويحاسب الناس أنفسهم، ويقيم الناس حياتهم، ويدخل الناس جناتهم من صنعهم، أو يدخل الناس نارهم من فعلهم. مثقال

حبة من عمل يرون ويراهم، ويحكمون ويحكمهم. أعمالهم ترد إليهم في قيام الله لا شريك له ولا موجود غيره.

هل آمن الناس برسولهم - آمن بالله وقيام وحدانية الله - فكان وجها لهم من الله من ورائهم محيط؟ أنفسهم في مرآة صفائه يشهدون، ونفوسهم في أرض عالمه وذاته وقيامه يبعثون فيبعث فيهم فيحيون؟ ولكنهم يقولون بألسنتهم بما ليس في قلوبهم يوم قالوا: أيها المبعوث فينا - وما يشعرون - وما بعث فيهم، فقد كان هذا رجاؤهم ولكن بعثه فيهم يدَّعون! وهم على بيته بينهم لأنفسهم ينكرون.

إن أمة يقاس إيمانها بإيمان مجرد صديق من صديقين فيرجح إيمانه إيمانها.. هل هي أمة من المؤمنين؟ أم أن الإسلام ولد كسيحا بين المسلمين وعاد غريبا على المتابعين بعد غيبة وجهه من شهود العمي الغافلين - وما كانوا في الحق لوجهه مبصرين -؟ ولو أبصروه ما غاب عنهم ولا عن العالمين. كيف يغيب وجه الحق - وقد أعلنه الحق وجهه -؟ وكيف يغيب المتكاثر - وقد أبرزه الحق كوثره -؟ وكيف يغيب من أعطي الخلد - لم يعطَ لبشر من قبله؟ إن كان خلود الروح.. إن كان خلود المعنى.. فهو خلود قائم دائم من قبله ومن بعده. ولكنه تميز وقد أعطي الخلود بشرا بأنه يقوم في الساجدين، ويتكاثر بالعابدين، ويتلو كتابه على مكث بعترته في العالمين، فتبقى رسالته في الحكمة حية منشورة ذاتا وروحا ونورا من رب العالمين.. كتاب لم يترك دون من يتلوه في الناس ويبينه للناس فيبقى بنفسه يتلوه في الناس على مكث دينا قيما للقيمة على الناس من أنفسهم، وطريقا لا عوج فيه بين شهادة الإنسان وغيبه عبد هو العباد، وقيام هو الكتاب فهو الوجه لربه وهو الإمام لخلقه، أودع فيه كل شيء وأبان به كل شيء، وأرسله لكل شيء، وقام به في كل شيء...

أليس هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم؟ إنه الأب الولود في السموات والأرض، عبدا لله يدب فوق السموات بقدميه، ويدب فوق الأرض بنعليه بعثا لتجدد جديده. إن أقدامه سموات للمستظلين بعباد لا تقلهم أرض ولا تظلهم سماء.. أليس هو عبد الرحمة من رب العالمين؟ إنه العبد المتسع لما لم تتسع له السموات والأرض والذي يمتد بصفاته، وينمي لداته، ويأمر أهله بالصلاة، ويحث الناس على النجاة، ويحمل النبأ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ليس عليهم بمسيطر وليس عليهم بوكيل، إلا من أتى الله بقلب سليم، فحكَّمه في نفسه.. {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[1] ...

يؤمنون به إياه. يعرفونه في معرفة مولاه. يستحيون لنداء ربهم، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[2] ...

فالإيمان لا يكون إلا برسول الله، والإسلام لا يكون إلا لرسول الله، والكفر لا يكون إلا برسول الله. ما قدر الناس الله حق قدره وهو اللانهائي الذي لا أثر لأعمالهم فيه، ولا في رسوله منه برسوله منهم، وفي رسوله لهم يكون تواجدهم أحياء، ورقيهم أشياء في عبده لهم بلا انقضاء.

ألم يعرف الناس أنه الغني عن العالمين، وأنه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية من خلقه بعباده! إن يشأ أن يهلك من في الأرض جميعا من منظور وغير منظور خلقه، أو أن يهلك المسيح وأمه ومن على الأرض جميعا، من منظور خلقه وغير منظورهم لفعل.

أما عرفت يا عبده وحقه ووجهه وقيامه أنه الغني عن العالمين، في قيامك بفنائه في عبوديتك له وحقيتك منه؟ أما عرفت أنه إن يشأ أن يذهب بما أوحي إليك في مظهرك من خلقه فإنك لا تجد لك عليه نصيرا من حقه؟

استقم يا عبد عبوديته كما أمرت.. استقم يا خلق حقيته لك كما علمت.

ربي إني لا أملك لنفسي الاستقامة على ما كلفت، وهي كما خلقت، فلا قدرة لي إلا ما قدرت، إن أنت لم تقمني، وقد تفضلت وقدرت، فلا حيلة لي وإن علمت، فاجعل برحمتك في علمي قدرتك، وفي تقديرك علمي، على ما أعلمت، فعلَّمت وقدرت.

(لا يدخل أحدكم الجنة بعمله.. حتى أنت يا رسول الله؟ حتى أنا إن لم يتغمدني الله برحمته)[٣]. {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}[٤].

يا رسول الله إنا نراك تقوم الليل ولا تسكن بنهار: هل نفهم من ذلك أنك تطلب من الله وافر الأجر؟ قال حاشا لله أن يُضلَّني مع من ضلَّ. معاذ الله أن لا أزدادَ من الله بصلاتي إلا بعدا، فإني لا أصلي له طلبا لجزاء أو عطاء أو خشية من بلاء. أما العطاء فقد أعطاني في حيوات أنا اليوم بعثها، وأما الجزاء فقد وفره ومنَّه وقدَّمه عن قديم وجديد وقائم، بما غفر لي من نسبة الفعل لوجودي في ماضيّ وحاضري ومستقبلي. فقد جعل كل فعل لي فعلا له، وكل تواجد لي تواجدا له، وقد جعل مني عبده قديما وقياما ومستقبلا. ولكني أقوم مصليا قيام الشاكر لربه على ما أعطى ومنَّ: فإنه لم يمنعني من نافلة شكره، وقد قام بمفروض شكره لنفسه عني لعجزي عن القيام به.

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجا}[٥].

يا إخواني في بشريتي.. كم من مصلٍ لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا.. ذاك الذي صلى معتقدا أن الله بعيدا عنه وليس أقرب إليه من حبل الوريد. وكذلك فإن المصلي الذي يعتقد أنه يصلي بقدرته وإرادته لا صلاة له. إن الله يصلي لنفسه في صلاة كل مصلي. إنه دائما القدوس لنفسه.. المصلي

لنفسه بنفسه. وهو يصلي بعباده على عباده، إذ يستقبلهم بهم راحما.. قبلة لهم برحمته.. ويصلي في عباده يستقبلون منه رحمته من عباد.

إن الله يصلي بقديم الناس على حاضر الناس بأنبياء عنه، ليصلوا بدورهم بحاضرهم على جديدهم، وليصلي جديدهم لهم قديما له بجديد منهم.. فما صلى من الله إلا الناس بحقيتهم منه، وما كانت صلاته على نبيه إلا صلاة قديم الناس على جديدهم به. وما كانت صلاة نبيه إلا صلاة الناس بوصلتهم وأصولهم لهم على أبنائهم وجديدهم منهم من الناس.

هل عرف الناس هذه المعاني يوم حملت لهم، أو أدركوها يوم أعيدت عليهم من أهلها من بينهم، المرة بعد المرة؟ يجدد الله بهم الدين على توالي القرون، في كل أرض، وفي كل بشرية، وفي كل أمة، وفي كل بيئة، وفي كل لغة، وفي كل جنس، وفي كل وقت، في مشارق الأرض ومغاربها وأواسطها مضاءة قلوب فريق من الناس، سرجا لمشكاة صدورهم، مشروحة هذه الصدور بذكر الله وبنور الله من مصباح القلب المشرق الممد من شجرته الجامعة للجنس، لا تحدها فروعها في الشرق، أو فروعها في الغرب، أو فروعها في السماء، أو جذوعها في أواسط الأرض وأغوار الأرض.. إنها الإنسان الأزلي.

إنه إنسان الله وعبده ذلك الذي صلى به الغيب على الشهادة بتواجد عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا. كان وجودهم صلاة المطلق من الجنس للشهادة من الجنس يشعل بهم مصابيح القلوب، ويجعل منهم أوتاد الأرض، ويجعل منهم مصابيح السماء الدنيا من الحياة.

هل عرف الناس محمدا يوم شهدوه فخاصموه؟ هل تابعوه يوم سالموه وأنفسهم أسلموه؟ هل جددوه لأنفسهم بحبهم يوم آمنوه؟ هل بعثوه بشوقهم يوم فقدوه؟ إنهم في مقبرة واروه وقاموا عليها، وما زالوا يندبونه وكم ندبوه! ما قدروه فيها حيا وهو الذي سن وشرع لهم (أنا حي في قبري)[٦].. لا يذهب من بينهم من يخاطبه غير ابنته خطاب العزيز المستذل من الناس.. خطاب من أودع الله فيهم عزته، وقد عاملهم الناس أنهم في الله بذلهم، جهلا منهم بالله وبعزته بهم.

إنا نحتفل في هذه الأيام بصلاة الله على الناس يوم أبرز فيهم الحسين من الحسن كله، ليكون جديدا ظاهرا لغيب ما ظهر كماله، والظاهر ما غاب مثاله، ليكون وجها للحجاب الأعظم يتجدد في الناس وجهه، وتنتشر بهم بالإيمان مثله. يبعث في قلوبهم بمحبته يوم يتعرضون لنفحات الله في دهرهم فينفحون، ويتعرضون بالإسلام للإيمان فيؤمنون إيمانا مفاضا ممن هو على كل نفس قائم، ومن وراء كل نفس محيط.

هكذا علَّمهم من ذكروه اسما ومن علموه رسما، عبده وكتابه الذي تجدد بينهم على دوام ومكث فيهم، فما استيقظوا من غفلة في قديم ولكن على آثار آبائهم يقتفون من الغافلين - على غفلتهم - وآثار آبائهم من اليقظين يباعدون بحاضر من غفلتهم، وبميراث من كبوتهم، بالآباء يتوارثون التحريف للسنة والكتاب، ويواصلون المخاصمة على المتواجد من الحق، ويقولون بأفواههم إنهم لمحمد أمة، ولكتابه أهل، وعلى سنته وأثره في طريق! ويوم تجبههم سكرة الموت بالحق مما عنه حادوا، فلات ساعة مندم، الصيف ضيعت اللبن. يقولون أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. ويرجعهم المرة بعد المرة مبدلا جلودهم على ما أنشأهم أول مرة، {قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل}[٧]؟ نعم لكم مرد ومرد، وسبيل وسبيل، ولكنكم على مكانتكم تمسخون أو تمسحون. فإن مسختم فجلودكم تغيرون وعلى ما في قلوبكم تعنونون. وإن مسحتم فأمة محمد تكونون، وفي بيته وأهله تولجون، وبه في مدنيته تُبعَثون، ووجوها لله تكونون، وكلمات منه ترسلون.

هذه حقائق الدين والإسلام والروح، لا فرق بين عالم الروح وعالم الشهادة في أمر الله وفي العلم عن الله. الملأ الأعلى يطلبونه والملأ الأدنى يطلبونه. والملأ الأعلى والملأ الأدنى إن لم يدركوه في أنفسهم فقد تحجب عليهم وقاموا وهم دونه بأنفسهم. فالقلب بيت الرب. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. ولو شاء لهدى الناس جميعا ولكن الله لهذا الذي هم فيه على ما خلقهم وبهذا وصفهم {فريق في الجنة وفريق في السعير}[٨]. {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}[٩]، وأصحاب الجنة وهم الفائزون، عن أصحاب النار في المعرفة عنه لا يختلفون، ولكن أصحاب الله على الفريقين يعلون ولا يستعلون، ولهما يرعون ويعملون. لله الأمر من قبل ومن بعد في الأرض وفي السموات وفي كل حين. لا إله إلا هو له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير.

اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا كما ظلم آباؤنا أنفسهم.. عاشوا في ظلام وأورثونا ظلاما. اللهم فاغفر لنا ولهم، وأنر أجداثنا وأجداثهم، وأحيِ صدورنا وصدورهم، وأحيِ قلوبنا وقلوبهم. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وادفع اللهم عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم. اللهم عافنا من إقامة عدلك وعاملنا بمغفرتك وعفوك. وعافنا مما نحن له أهل وتولَنا بما أنت له أهل.

اللهم إنا عرفنا أنه لا إله غيرك ولا موجود بحق سواك. اللهم إنا قد عرفنا القدم فيك. اللهم فأفض علينا الحنان برحمتك، واجعل اللهم لمحمد في داره منا مكانا، وفي بيته بنا معنى وعنوانا، واجعل اللهم له من إنسانه فينا إنسانا.

لا إله غيرك علوت على الوصف، وعلوت على التقدير، وعلوت على التسمية، وعلوت على الإدراك، وأحطت بكل عَلَمٍ أقمته في كل عالَم تواجدته. لا معلوم عنك إلا الجهل بك. ولا إدراك لك إلا في قيام وحدانيتك.

اللهم فاغفر لنا، وبرسولك فألحقنا، وبه أدخلنا في حصن لا إله إلا أنت، وأقمنا وأحصنا بلا إله إلا أنت، وأقمنا وأحينا بعبدك ورسولك. لا إله إلا أنت.

أضواء على الطريق

- {إن لك في النهار سبحا طويلا}[١٠] حديث الإحاطة
- (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)[١١] "حديث الرسول
- (يحاول عالمكم أن يجد الذهب في الأرض. وعالمي يحاول أن يجد الذهب في النفس الإنسانية. الذهب هناك كالذهب في عالمكم المادي يجب أن يستخرج إلى السطح، ويدق وينقى، ويعامل بالنار حتى يتكشف المعدن النقي، وهذا ما نحاول جميعا عمله. يوجد ذهب نقي في كل طفل من أطفال الروح الأعظم، وقد يكون أحيانا مطمورا جدا تحت قذارة العالم المادي حتى يصعب عليكم لقاؤه. وغالبا ما يستحيل استخراجه ولكنه موجود هناك. ونحن نبتهج أو نعثر عليه ونأتي به).
- (الغرض الذي يربطنا سويا ويجعل الدائرة واحدة هو أن نقدم خدمة أينما تمكنا.. قوة لكل الضعفاء، مساعدة لجميع المنكوبين، راحة لكل المجهَدين، علاجا لكل المرضى، ضوءا للذين هم في ظلام، ومعرفة للذين هم في جهالة).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النساء - ٦٥

٢ سورة الحديد - ٢٨

٣ إشارة إلى حديث شريف: "لن يُدخِل أحدَكم الجنةَ عملُه، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل.: رواه أحمد، ورواه البخاري ومسلم: "سددوا وقاربوا وابشروا فإنه لن يُدخل الجنة أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته ".

٤ سورة آل عمران - ١٨٥

٥ سورة الكهف - ١

٦ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٧ سورة غافر - ١١

٨ سورة الشورى - ٧

٩ سورة الحشر - ٢٠

١٠ سورة المزمل - ٧

١١ من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم." أخرجه البخاري ومسلم.